Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Shephereded by the slow unwilling wind (٢١)

ويخلص إلى القول إنَّ « الاستعارة » في هذا المقطع من شلي ، وإن تكن على صورة النثر ، فإنها « لتكاد تزيل السامع عن وقار الكهولة إلى خفة الصبوة ومرح الشباب ؛ وما مَن يقرأ هذه الأبيات الشعرية والعبارات النثرية إلا ويشعر أن الاستعارات فيها تستهوي حاسة الاستحسان فتذهب بها كل مذهب » .

وكما يركز ضومط اهتمامه على تأسيس قواعد الفعل البلاغي الذي يؤمِّن مبدأ « الاقتصاد على انتباه المتلقي » ، فإنه يخصص القسم الآخر من كتابه لتأسيس قواعد أخرى للفعل البلاغي يرى أنها تؤمِّنُ تحقيق المبدأ الثاني المكَمِّلُ في هذا المجال وهو « الاقتصاد على متأثرية السامع » . مصطلح جديد في دنيا الدرس البلاغي العربي عهد ذاك ؛ وفكرة طريفة حرِيَّة ببعض التوسع في عرضها . والجدير بالذكر ، أن ضومط يرى في هذا المبدأ الثاني أهمية توازي أهمية المبدأ الأولى ، بل وتزيد عليها(٢٢) .

يقدم ضومط أربع ملاحظات حول قضية المتأثرية(٢٣) . فهو ، أولاً ، يرى أن المرء عندما يتلقى معلومات معينة حول موضوع ما ، فإن قدرته التأثرية تكون في حالة أضعف أو أقوى مما كانت عليه قبل عملية التلقي . ولذا ، لا بد للكاتب من أن يأخذ بعين الاعتبار مدى القدرة التأثرية عند المتلقي التي تلي المرحلة الأولى لتلقيه لتلك المعلومات . ومن هنا ، فإن جبر ضومط يرى أنه لا بد من أن يكون الفعل التأثري التالي للمرحلة الأولى أكثر قدرة على الإثارة وشد المتلقي إلى المادة المقدَّمة .

أما الملاحظة الثانية فتبدو وكأنها تستند إلى فهم لعلاقة جدلية بين المؤثِّر والمتأثر . فكل تأثير يقود إلى تأثر يستهلك القوة المتأثرة ويُضْعِفُها . « فالقوى الفعلية والبدنية » ، كما يرى ضومط ، « أقوى على العمل بدءاً منها عليه استئنافاً »(٢٤) . ولذا ، فإذا ما وقع التأثير على هذه القوى ضَعُفَتْ ، ولا يزال التأثير يتزايد عليها ويعمل على إضعافها حتى تصل إلى درجة الكلال . ويقدم